

أهم الملامح الفنية  
في  
الحديث النبوي

أ.د. نور الدين عتر

رئيس قسم علوم القرآن والسنة بجامعة دمشق  
أستاذ التفسير والحديث في كليات الشريعة والآداب  
بجامعتي دمشق وحلب

## أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي

هذه الدراسة من أهم دراسة أدبية ، بل هي أهم دراسة بيانية بعد دراسة اعجاز القرآن الكريم ، لما أنها تبين النسق الذي درجت عليه البلاغة النبوية ، وما اختصت به من المزايا حتى فاقت كل بلاغة صنعها الإنسان .

ونمهد للدراسة بهذه الشهادات من أئمة البلغاء ، وما ترمز إليه من اشارات لها أهميتها :

يقول علامة الأدب وناقد الشعر أمام نحاة البصرة : يونس بن حبيب<sup>(١)</sup> :  
« ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ »<sup>(٢)</sup> .

وقال إمام التفسير البلاغي للقرآن جار الله الزمخشري<sup>(٣)</sup> :

« هذا اللسان العربي كأن الله عزّت قدرته مخضه وألقى زيده على لسان محمد عليه وآله أفضل الصلاة وأوفر السلام ، فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل ، وما من مصّقع يُناهزه إلا رجوع فارغ السّجل ، وما قرّن بمنطقه إلا كان كالبرذون مع الحصان المُطهم ، ولا وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضّح في نقبة الأدهم .

قال عليه الصلاة والسلام : أوتيت جوامع الكلم<sup>(٤)</sup> . وقال : « أنا أفصح العرب بيد أي من قريش ، واسترضعت في بني سعد بن بكر »<sup>(٥)</sup> أهـ .

وقال الإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي<sup>(٦)</sup> : « وأما فصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، فقد كان النبي ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يجهل ، سلامة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف . أوتي جوامع الكلم ، وخُصّ ببدايع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه ، وتفسير قوله . من تأمل حديثه وسبره علم ذلك ، وتحققه »<sup>(٧)</sup> .

## معالم البلاغة النبوية

هذه مقالات أئمة في البلاغة بعضها مجمل والبعض الآخر مفصّل لمعالم بلاغة الرسول ، تشهد كلها ببلوغ الحديث النبوي قمة البلاغة التي تصدر من فصحاء العرب ، بل عن أفصح فصحاء العالم ، وكلها عبارات تشير إلى معالم البلاغة ، وإن كانت لا تحيط بها ، بل تشهد بعدم الاحاطة ، لكنها على كل حال لا تكتفي بكيل الثناء وتقديمه بمجرد الدعاوي ، بل إنها تتضمن البيان الجلي عن برهان ما يقوله كل قائل منهم وربما جاوز ذلك للأطناب في ذكر الشواهد ، على نحو ما تجده عند الجاحظ ثم الرافعي .

وقد رأينا بالسير والدرس لما قدمته الدراسات الأدبية عن البلاغة النبوية أن نسلك طريق التعمير المدرسي الأقرب للأسلوب العلمي في تبيان أوجه هذه البلاغة ، لايضاح سبيل فهمها أمام الدارس ، ولأبعاد البحث عن التوهم الذي قد يتصور خاطئاً أن القضية عاطفية ، ليست منضبطة بأصول النقد الأدبي .

ونتيجة لذلك رأينا أن نقسم البحث تقسيماً يقدم الحظ الأكبر للدارس في فهم طبيعة هذه البلاغة العالية السامية ، والفصاحة النادرة ، ويلقي الضوء الأوضح على مزاياها وجهات العظمة الأدبية والفصاحة النادرة التي تميزت بها .

فقسمنا أوجه البلاغة النبوية إلى قسمين معالم البلاغة النبوية ، وخصائص البلاغة النبوية . ونبدأ ههنا بتفصيل معالم البلاغة النبوية فيما يلي :

١ - أن ألفاظ الأحاديث النبوية مألوفة مأنوسة ، إلا عندما ما يقتضي المعنى لفظاً يناسبه ، فيختار الرسول اللفظ الأقل إلفاً ، لكنه يتجنب الغريب الوحشي ، والسوقي المتبدل ، وألفاظه جزلة حين يقتضي المعنى الجزالة ، رقيقة حين يقتضي المعنى الرقة ، وفي الحالتين هي واضحة الدلالة على معانيها ، كل كلمة تعبر بدقة عن تمام معناها مستقرة في مكانها ، غير

قلقة ، ولا مستجلبة ، ولعل التوفيق بين هذين الجانبين من أشق ما يجتهد البليغ في تحقيقه ، وهو من أقوى الدلائل على قدرته البيانية ، وهذا وصف عام لكل الأحاديث .

كما يقول الرافعي : « أن أسلوب النبي ﷺ ، أسلوب منفرد ، في هذه اللغة ، قد بان من غيره بأسباب طبيعية فيه ، وانك لا ترى فيه حرفاً مضطرباً ، ولا لفظة مستكرهة على معناها ، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى » .

وهكذا أي حديث نظرت فيه وجدت فيه ذلك الوصف ظاهراً ، ظهور أجلى عن الحاجة لايراد الشواهد والدلائل من نصوص الحديث النبوي .

٢ - الوضوح وسهولة دلالة ألفاظ الأحاديث النبوية ، وكان النبي ﷺ يكره الاغراب ، ويكره التكلف ، ويكره فضول القول ، ولذلك لما خفي معنى من معانيه ، أو احتاج الدارس لاحاديثه لكثرة الرجوع إلى المعاجم ، إذا كان ذا معرفة جيدة باللغة العربية . وهذا الحديث يدل على ما ذكرنا أبلغ دلالة ، وهو الحديث المتفق عليه <sup>(٨)</sup> . « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » . فالحديث مع خطورة موضوعه وأنه يبين أركان الإسلام إلى جانب ما فيه من لطائف البلاغة والبيان واضح الألفاظ ، سهل الفهم .

ولذلك : « لم تسقط له كلمة ، ولا بارت له حجة ، ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ » كما قال إمام البيان الجاحظ .

غير أنا قد يستشكل علينا من لم يتمعن مقاصد الكلام ، وغاية المرام بالألفاظ التي شرحها العلماء في كتب خاصة ، هي المعروفة بكتب غريب الحديث ، والتي يبلغ بعضها خمس مجلدات .

والجواب : أن مقياس الغرابة ليس هو فهم المتعدين عن اللغة ، إنما هو السامعون ، وكان الصحابة يفهمون القسم الأعظم ، والجانب الأكبر من الحديث ، وقد يخفى على بعضهم بعض ألفاظه فيسأل عنه ، فيتلقى الجواب والشرح ، ويكون القصد افادة السامع الكلمة ، أو ايثارها لفضل موقعها وافادتها في مكانها ما لم يفده غيرها ، على أن استعمال مثل هذا اللفظ نلاحظ فيها انتقاء للفظ يوحي بمعناه ، ويمشي بالمرام منه من جرسه ووقعه في الاذن ، وموقعه بين الكلام . . .

وهكذا كما قال العقاد<sup>(٩)</sup> : « فليس أقرب من هذا الأسلوب في ابلاغ الغرض منه . لا كلفة ولا غموض ولا اغراب ، وقلة الغريب - بل ندرته - في كلام النبي أجدر الأمور بالملاحظة في اقامة المثل والنماذج لأساليب البلاغة العربية .

محمد العربي القرشي<sup>(١٠)</sup> الناشيء في بني سعد العالم بلهجات القبائل حتى ما تفوته لهجة قبيلة نائية في أطراف الجزيرة ، لم يكن في كلامه كله غريب يجمله السامع أو يحتاج تبينه إلى مراجعة ، وسر ذلك أنه يريد أن يبلغ أو يريد أن يصل إلى سامعه ، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزاً من اللفظ الغريب أو المعنى الغريب ، ومن ذلك ما روى عنه عليه السلام أنه كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه ، وأنه كان يبغض التكلف والاعتزاز بالبلاغة كما قال : « ان الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها » .

ويتعلق بهذه الفقرة أسلوب السجع ، وكان فاشياً في كلام العرب وفي خطبهم ، وبالإستقراء للنصوص نجد موقف البلاغة النبوية من السجع يدور مع الأصل الذي قررناه هنا وهو التزام عدم التكلف والتصنع في الكلام ، والحذر من استعمال السجع لغرض التأثير في غير الحق كما كان يفعل الكهان في الجاهلية .

وفي الحديث الصحيح<sup>(١١)</sup> أنه لما قضى النبي على جماعة بدية جنين سقط باعتداء امرأة منهم على الحامل ، فقال بعضهم وهو حمل بن النابغة الهذلي : يارسول الله ، كيف يغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل : فمثل ذلك يُطلّ .

فقال رسول الله ﷺ : « إنما هذا من اخوان الكهان » . من أجل سجعه الذي سجع .

قال الجاحظ<sup>(١٢)</sup> : « وكأن الذي كره الاسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة ان كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون إليهم ، وكانوا يدعون الكهانة وإن مع كل واحد منهم رئيساً من الجن . . . كانوا يحكمون ويلفظون بالاسجاع ، فوقع النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيها ، وفي صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم » .

إلا اننا نرى بخلاف رأي الجاحظ أن المسألة ترجع إلى أصل عام هو التكلف الذي يمقته الإسلام ، وأيضاً محاولة إدحاض الحق بأسلوب السجع وتنسيق الكلام الذي اتبعه هذا القائل .

أما إذا سلم السجع من ذلك كله فهو زينة وحلية في الكلام ، لا ياباه أدب البلاغة النبوية ، بل يقبله ويقول به ، وفي الأحاديث كثير من السجع جاء

- عفواً لم يتكلف له ، ولا هو مصطنع ، ومن ذلك :
- ١ - دعاؤه عليه السلام : ( اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع )<sup>(١٣)</sup> .
  - ٢ - دعاؤه في تعويذ الحسن والحسين رضوان الله عليهما : « أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »<sup>(١٤)</sup> .
  - ٣ - حديث عائشة في هذه الخطبة النبوية التي خطبها انكاراً على قوم شرطوا في البيع شرطاً غير شرعي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله . ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق . وإنما الولاء لمن أعتق »<sup>(١٥)</sup> .
  - ٤ - ( ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعا وهات . وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال )<sup>(١٦)</sup> .

ونضيف إلى هذه الأمثلة ما هو ملاحظ من التناغم والانسجام الموسيقي في نظام الكلام النبوي ، مع أنه نثر بحت ، فإذا صادف هذا التناغم ان انضم إليه السجع العفوي غير المتكلف ، ولا المتصنع أفليس من الحكمة قبوله والقول به ، أجل وذلك ما وقع في الأحاديث النبوية ، وهو المتبع أيضاً في غير السجع من أساليب التزيين والبديع ، وينطبق عليها جميعاً ما قاله العقاد في السجع<sup>(١٧)</sup> :

( ومذهبه في هذه الحلية اللطيفة مذهبه في كل حلية تليق بالرجل ، فحولة في القول ، وفحولة في الزينة ، فسجعه عليه السلام كحلية الذهب . . . ولا مزيد ) .

٣ - مخاطبة كل إنسان على مقدار عقله ، مع مراعاة أن تكون الألفاظ ملائمة غاية الملاءمة للمعنى المطلوب ، وتقديم المعنى المناسب أيضاً للغرض الذي سيق لأجله الكلام ، ويكون كذلك وصف فعله وحاله متكافئاً مع الأمر الذي يأمر به أو النهي الذي يزجر عنه . وربما اختار لكلامه حالة خاصة من أحواله .

وهذا الذي ذكرناه يترجم المقصد الذي عرفوا به البلاغة ، حين قالوا : هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

ومن أمثلة ذلك الحديث الصحيح الذي ثبت في الصحيحين<sup>(١٨)</sup> في بر الوالدين ، حين سأل بعض الصحابة . من أحق الناس بحسن صحابتي يارسول الله ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك : قال : ثم من قال : ثم أمك يقال : ثم من ؟ قال : أبوك .

فقد كرر الحديث الوصاية بالأم أولاً وثانياً وثالثاً ثم في الرابعة قال : ثم أبوك . وهذا في غاية البلاغة ، لأن الأم أكد حقاً من الأب ، وذلك يحتاج للتأكيد ، كما أن حاجتها إلى حسن الصحبة وجميل العشرة ، وبذل المعروف أشد من الأب ، فان الأب أقوى من الأم ، وله في الأرض مراغم كثيرة وسعة . فضلاً عن أن حاجة الابن لأمه تضعف عندما يكبر ، بينما لا تضعف حاجته لأبيه بسبب الكبر ، وهذا من دواعي النسيان أو التقصير معها دون الأب ، فجاء الحديث بهذا التكرار والاهتمام والتأكيد ليقع في غاية المناسبة لمقتضى حال السائل ، بل حال كل إنسان .

ومن الأمثلة الهامة في ذلك خطبته الكبرى إلى العالم في حجة الوداع ، فقد كرر فيها كثيراً قوله (ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد)<sup>(١٩)</sup> ، وجعلها لازمة يختم بها كل فقرة من فقرات الخطبة ، ولا غرو في ذلك ، فإن هذه الجملة هي



خلاصة جهاد دائب وكفاح مرير استمر ثلاثاً وعشرين سنة ، من يوم أن بُعث نبياً إلى العالم إلى تلك الوقفة ، التي لحق بالرفيق الأعلى بعدها بثلاثة أشهر ، وما يلفت النظر افتتاحه المثير لهذه الخطبة الجامعة الذي يقول فيه : « أيها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم ، فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا !! ) .

فكان تكرار هذه اللازمة « ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد » في غاية الأهمية ، كيف ، وإنما تحول العالم كله ذلك التحول بهذا التبليغ ، وبهذا الاشهاد الذي حمل الصحابة السامعين للخطبة ومن بعدهم مسئوليتهم الضخمة بحمل الأمانة وتلقي علمها والعمل بها ، ثم أدائها إلى العالم .

وربما أغرب الرسول في اللفظ يستعمله ، وان كان ذلك قليلاً ، لأن الذي يخاطبه قد آثران يستعمل الغريب في كلامه ، أو ربما كان ذلك طبعاً للرجل :

روى ان رجلاً سأله « أيدالك الرجل امرأته ؟ فأجابه : إذا كان ملفجاً » .

فلما استعمل السائل اللفظ الغريب (يُدالك) أي يباطل ، أجابه بنحو طريقته ، وقال إذا كان مُلفجاً : بصيغة اسم المفعول ، وهو المحتاج المغلوب الفقير الذي أثقله الدين<sup>(٢٠)</sup> ، وقد يستعمل القسم لتأكيد القول ، وترسيخه ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، ومن ذلك هذا الحديث الذي يعالج فيه صنيع المنافقين الذين لا يحضرون مجالس المسلمين ، ولا يشهدون معهم صلاة الجماعة ، كما أخرجه الشيخان<sup>(٢١)</sup> عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم .

والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم إنه يجد عرقاً سميناً أو ممراتين حستين لشهيد العشاء » .

فاستعمل صيغة القسم لتأكيد التهديد ، حتى يرغمهم على التخلي عن هذه الظاهرة الخبيثة ، التي تجعلهم محسوسين على الإسلام ، وما هم من مجتمع الإسلام في شيء .

ونلاحظ هنا أن القسم لا يأتي في الحديث كله إلا قسماً بالله تعالى ، وذلك امثالاً لحكم الشرع الذي يحرم على الناس القسم بغير الله تعالى .

لكن نلاحظ في صيغة القسم في الأحاديث ، كثرة استعمال هذا اللفظ : « والذي نفسي بيده » أو « والذي نفس محمد بيده » كما وقع في قصة شفاعة أسامة بن زيد في المخزومية التي سرقت ، فأطلقها عليه الصلاة والسلام كلمة مدوية في العالم تقرر المساواة بين الجميع أمام القانون بتأكيد غاية في الرهبة والقوة : « والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »<sup>(٢٢)</sup> .

وقد دوى صدى هذا القسم في العالم فقررت الدنيا كلها مساواة الجميع أمام القانون .

كما يستعمل الاسم المتعارف « الله » كما في هذا الحديث : « والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ » أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه<sup>(٢٣)</sup> .

فالحديث يقصد إلى إزاحة غشاوة الغفلة عن الآخرة لما اعتاده الإنسان من نعيم الدنيا ، فبين غاية ضآلتها إلى جانب نعيم الآخرة ، وأكد هذا البيان بالقسم ، لتزداد الفكرة رسوخاً وعمقاً ، ويتمّ اقبال السامع على المطلوب منه ، ثم استعمل الحديث أسلوب الايضاح وهو الإشارة بالأصبع وهي السبابة كما صرح في صحيح مسلم ، ومراده بذلك أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك ، أو ما الدنيا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسبة للآخرة في

دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر . ثم عبر بقوله : « فليُنظر بم يرجع » ووضعه موضع قوله « فلا يرجع بشيء » لقصد التصوير الذي يجعل السامع مستحضراً لتلك الحالة بأن يستحضر صورتها شاهدة لديه .

وقد يستعمل الرسول الكلمة القاسية اللاذعة تحمل الأفكار الشديدة ، والتوبيخ الرادع ، فقد جاءه أحد ولاته ، وفي يده ما زعم أنه هدية أهديت إليه ، ورأى أنها من حقه ، فبين له النبي حكم الله في هذه ومثلها ، في أسلوب فيه الوخزة الناقدة ، والاشارة الموجعة :

روى البخاري بسنده<sup>(٢٤)</sup> قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلاً على صدقات بني سُليم يدعى ابن اللثبية وهي أمه ، بضم اللام وسكون التاء أو فتحها ، واسمه عبدالله - فلما جاء حاسبه ، قال : هذا مالكم وهذا هدية ، فقال رسول الله ﷺ : فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقاً ، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد فأني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي ، فيقول : هذا مالكم ، وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمّه حتى تأتيه هديته ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى روى بياض ابطنه ، يقول : اللهم ، هل بلغت ، بصرعيني ، وسمع أذني ) . فذكر ( الأم ) في هذا المعرض مؤلم أشد الايلام ، منفر أشد التنفير من قبول مثل هذه الهدايا التي تقدم للولادة ، وكأن الجلوس في بيت الأب يأتي بشيء لأن الكسب من عمل الرجل ، أما الجلوس في بيت الأم فليس مظنة للحصول على شيء من المال ، ولا أمل للجالس فيه في هدية تهدي إليه لأنه يجلس حيث تجلس النساء ، لا عمل لهن إلا رعاية

شئون بيوتهن ، وما أشبهه - حينئذ - بهن في العجز عن الكسب وفي ضعف الطموح ، والرغبة عن الجد والكدح .

وفي كلمته - ﷺ - : « ان كان صادقاً » تعريض شديد موجع ، وكأني بهذا الرجل قد تصيب عرقاً ، واحترق أسفاً ، ولظني به قد تمنى أن يتخلى عن كل نصيب له في الدنيا ليفتدي نفسه من سماع هذه الكلمة من رسول الله ﷺ .

#### ٤ - الصناعة اللغوية :

هذا عنوان جامع لميزات متعددة من مميزات البلاغة النبوية تكلم عليها الرافعي وأضاف إليها عنواناً آخر هو صناعة البيان ، فتكلم الآن في الصناعة اللغوية ، ثم نتلوها بالبيانية .

قال الرافعي<sup>(٢٥)</sup> :

( إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي ﷺ على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية : رأيت في الأولى -يعني الصناعة اللغوية- مسدد اللفظ محكم الوضع ، جزل التركيب ، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات ، فخم الجملة ، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريية في التأليف والنسق ، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرباً ، ولا لفظة مستدعاة أو مستكرهة عليه . . . ) .

يتم هذا قول العقاد<sup>(٢٦)</sup> :

( وسر ذلك أنه يريد أن يبلغ ، أو يريد أن يصل إلى سامعه ، ولا يريد أن يقيم بينه وبين السامع حاجزاً من اللفظ الغريب ، أو المعنى الغريب . . . ) .

وقد عرف عن النبي ﷺ في حياته الخاصة والعامة أنه كان قليل الكلام ، معرضاً عن اللغو ، لا يقول إلا الحق ، وان قاله في مزاح .

فمن ثم لا عجب أن يخلو كلامه من الحشو والتكرار والزيادة ، فإذا كرر اللفظ بعينه كما جاء في بعض المعاهدات ، فذلك أسلوب المعاهدات الذي لا يحصى عنه ، لأن تكرار النص يمنع التأويل عند اختلافه .

#### ٥ - الصنعة البيانية :

وذلك أنك تراه في ميدان هذه الصفة كما يقول الرافعي<sup>(٢٧)</sup> : « حسن المعرض ، بين الجملة واضح التفصيل ، ظاهر الحدود ، جيد الرصف ، متمكن المعنى ، واسع الحيلة في تصريفه ، بديع الإشارة ، غريب اللمحة ، ناصع البيان ، ثم لا ترى فيه احالة ولا استكراها ، ولا ترى اضطرابا ولا خطلا ، ولا استعانة من عجز ، ولا توسعاً من ضيق ، ولا ضعفاً في وجه من الوجوه .

وهذه حقيقة راهنة ، دليلها ذلك الكلام ( النبوي ) بجملته وتفصيله ، لا يجهلها إلا جاهل ، ولا يغفل عنها إلا غافل . . . » .

وقد سبق الجاحظ للتعبير عن المزايا التي أوردها الرافعي في الفقرتين ، بكلام هام جامع ، أورده في كتاب البيان والتبيين<sup>(٢٨)</sup> ، تسوقه هنا لفائدته ، ولمزيد شرح أفكار الرافعي :

قال إمام البلغاء وخطيب الفصحاء مرو بن بحر الجاحظ في بلاغة الحديث النبوي :

« وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثرت معانيه ، وجلّ عن الصنعة ، ونزّه عن التكلف ، وكأنّ كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين)<sup>(٢٩)</sup> فكيف وقد غاب التشديد ، وجانب أصحاب التقعير<sup>(٣٠)</sup> ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث

حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصّة ، وشُيِّد بالتأييد ، ويُسرّ بالتوفيق .

هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام ، وقلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن اعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته .

« لم تسقط له كلمة ، ولازلت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يُبَدُّ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس اسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفلج<sup>(٣١)</sup> إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلافة<sup>(٣٢)</sup> ، ولا يستعمل المواردية ، ولا يهزولا يلمز<sup>(٣٣)</sup> ، ولا يبطيء ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر<sup>(٣٤)</sup> .

« ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ » .

## ٦ - العفوية والبداهة في القاء الحديث :

ان ما وصفناه وما سنذكره من بلاغة الحديث النبوي الذي يبلغ تلك المنزلة ، فإن هذا الكلام النبوي (ليس مما تكلف له صاحب الرسالة ، ولا داخلته الصنعة ، ولا كان يتلوم على حوكه وسرده ، ولكنه عفو البديهة ، ومساقطة الحديث ، مما يجريه في مناقلة الكلام ، ومساق المحاضرة) .

« أما ما عرفناه عن غيره من فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء ، فإن العرب وان هذبوا الكلام وحذقوه وبالغوا في أحكامه وتجويده ، إلا أن ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم ، وروية مقصودة ، وكان عن تكلف يستعان له بأسباب الاجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية فيهم ، فيشبه أن يكون القول مصنوعاً

مقدّرا ، على أنهم مع ذلك لا يسلمون من عيوب الاستكراه والزلزل والاضطراب ، ومن حذف في موضع أطناب ، وأطناب في موضع حذف ، ومن كلمة غيرها أليق ، ومعنى غيره أرد ، ثم هم في باب المعاني ليس لهم إلا حكمة التجربة ، والأفضل ما يأخذ بعضهم عن بعض ، تلّ ذلك أو أكثر . والمعاني هي التي / تعمر الكلام وتستتبع ألفاظه ، وبحسبها يكون ماؤه ورونقه ، وعلى مقدارها وعلى وجه تأديتها يكون مقدار الرأي فيه ووجه القطع به . »

« بيد أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب ، على أنه لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه ، ولا ينبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة ، ولا يجاوز مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده ، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه ، ولا تستزله الفجاءة ، وما يقتضيه<sup>(٣٥)</sup> القول على البداهة من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع ، وعن النمط الغريب ، والطريقة المحكّمة .

وليس هذا قول مبالغة ، بل هو الحقيقة ، فمعظم الأحاديث صدر عنه لمناسبة سؤال أو حادثة ، وهذه كتب السنة عامة ، والكتب الخاصة ببيان أسباب ورود الحديث فيها آلاف أحاديث ، لا يخرج شيء منها عن حد ما وصفناه ، ولا ينزل عن قدر ما عرفناه .

### مميزات البلاغة النبوية :

هذه مميزات تميزت بها البلاغة النبوية ، قد نجد من الميزة الواحدة شذرات في كلام كبار الشعراء أو البلغاء ، ولكنها لا توجد في كلام أحد بالكثرة والوفرة والشيوخ الذي نجده في البلاغة النبوية .

وقد حدّت هذه الظاهرة بعض العلماء من متقدمين وغيرهم إلى القول بأن

الحديث النبوي معجز ، وإن لم يقع به التحدي كما وقع التحدي بالقرآن الكريم ، ولخطوا في ذلك ما ذكرناه من المعنى .

لكن التحقيق الذي عليه الجمهور أن الحديث ليس معجزاً ، واستشهدوا بدلالة الواقع الملموس ، فان الناظر في كلام الصحابة الكبار الذين أطلوا ملازمته والتلقي عنه يجد في كلامهم كثيراً مما يشابه الحديث النبوي ، حتى ان من لم يعلم أنه من كلام الصحابي يظنه حديثاً نبوياً ، نحو ما نجده من روائع بلاغة أبي بكر الصديق وخطبه ، وكذلك علي بن أبي طالب وغيرهما كما ذكرنا .

إلا أننا نرى أن الحديث وإن لم يكن معجزاً ، غير أن فيه خصوصية ما اشتمل عليه من سمو الفصاحة والبيان ، ومزايا البلاغة العالية ، فقد توفر من ذلك فيه ما لا يتوفر في غيره . مما يجعله خصوصية نبوية ، وان لم يكن معجزة ، ويدل على ذلك الحديث المشهور : « أُعْطِيَتْ جوامع الكلم واخْتَصِرَ لي الكلامُ اختصاراً »<sup>(٣١)</sup> .

وقبل البحث في بيان هذه الخصائص نجد من المفيد جداً درس المنطلق والمقصد البياني الذي جعل للحديث النبوي طابعه الخاص المتميز .

وقد توصل الكاتب الناقد المفكر الحر عباس محمود العقاد إلى كشف اللثام عن هذا المقصد ببحث موجز مفيد جداً ، وقرر أنه (سمة الابلاغ) .  
قال العقاد تحت عنوان : « محمد البليغ » .  
« اللهم هل بلغت ! »

هذه هي اللازمة التي ردها النبي في أطول خطبة الأخيرة ، وهي خطبة الوداع . وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها ، لأنها لخصت حياة كاملة في كلمات معدودات . فما كانت حياة النبي كلها ، بعملها وقولها ، وحركتها



وسكونها ، إلا حياة تبليغ وبلاغ ، وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه السلام وهو يوجد بنفسه : « جلال ربي الرفيع فقد بلغت » !

ولصدق هذه الدلالة نرى أن السمة الغالبة على أسلوب النبي في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الابلاغ قبل كل سمة أخرى ، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها ، لأنها أصل شامل لما تفرق من سمات هي منها بمثابة الفروع .

وكلام النبي المحفوظ بين أيدينا إما معاهدات ورسائل كتبت في حينها ، وأما خطب وأدعية ، ووصايا وأجوبة عن أسئلة . . . والابلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام جميعاً ، حتى ما جرى منه مجرى القصص أو مجرى الأوامر إلى المرؤسين أو مجرى الدعاء الذي يلقيه المسلم ليدعو الله على مثاله . . .

ونحن إذ نؤيد ما ذهب إليه العقاد ، نرى أن الأولى في الاستدلال لهذه السمة وهذه التسمية وهذا التأصيل لسمات البلاغة النبوية هو الاستدلال بالقرآن الكريم ، وقد جاء صريحاً جلياً مؤكداً بقوة في قوله تعالى : ( ما على الرسول إلا البلاغ) وقال مخاطباً نبيه : (ان عليك إلا البلاغ) . وغير ذلك من نصوص القرآن الكثيرة .

ونضيف إلى هذا المقصد عنصراً هاماً وحيوياً وهو خلود الرسالة وعمومها لجميع الناس في جميع الأزمنة والأمكنة ، ومهمة الهداية الشاملة التي وضع نواتها القوية في الجزيرة ، وتم وضع النواة بأحكام قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى .

وهكذا أشعت سمة الابلاغ مع مقصد الهداية العامة في ثنايا الحديث ، وأثرت في انتقاء مفرداته وصياغته وتراكيبه حتى جاء بطابعه المتميز بما اتصف به من سمات عامة ومن خصائص اختص بها .

ونود أن نذكر بين يدي هذه الخصائص بالحاجة الماسة إلى الازدياد من هذا البحث وأن يدي كل بدلوه فيه ، فان الدراسات في البلاغة النبوية وإن كانت قد حفلت بها مراجع شروح الحديث القديمة ، على طريقة شراح الحديث القدماء واكتفائهم بالللمحة الوجيزة والاشارة العابرة ، لكنها لم تتوفر لها المراجع على الطريقة الأدبية الحديثة ، سوى شذرات وفصول يسيرة ، سلك أشهرها أسلوب العاطفة والسبك الأدبي ، وكتبت بوجدان الكاتب وعاطفته ، ونحن بحاجة إلى دراسة تحكم فيها الموضوعية بالأسلوب العلمي ، ونعلن هنا أن المراجع لذلك غير متوفرة بصورة كافية ، ولا قريبة من الكافية ، لذلك فأنا نبذل الجهد في حدود ما يسمح به المقام هنا في بحث محدود ومجال ضيق ، إلى أن تتاح الفرصة لدراسة أكثر استقصاء وتعمقاً واستيفاء ، سالكين طريقة الموضوعية والأسلوب العلمي ، وبالله التوفيق .

ونذكر من هذه الخصائص ما يلي :

١ - الاحاطة بلغات القبائل ومخاطبة كل قوم بلغتهم ، بل أنه يفوقهم فيها فقد أوتي الرسول كما قال الإمام القاضي عياض السبتي : ( علم السنة العرب ، يخاطب كل أمة منها بلسانها ومحاورها بلغاتها ، ويباريها في منزع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه عن شرح كلامه ، وتفسير قوله ، من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه .

وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ، ككلامه مع ذى المشعار الهمداني ، وطَهْفَةَ النهدي ، وقُطْن بن حارثة العليمي ، والاشعث بن قيس ، ووائل بن حُجْر الكِندي ، وغيرهم من أقبال<sup>(٣٧)</sup> حضرموت ، وملوك اليمن .

وانظر كتابه إلى همدان : « ان لكم فِرَاعها وَوِهاطها وَعَزازها ، تأكلون عِلافها ، وترعون عَفَاءها ، لنا من دِفْئهم وصِرَامهم ما سلّموا بالميثاق

والأمانة ، ولهم من الصدقة الثُّبُ ، والنباب ، والفصيل ، والغارض  
الداجن ، والكبش الحَوْرِيّ ، وعليهم فيها الصالح والقارح<sup>(٣٨)</sup> .

وكقوله لعطية السعدي : « فان اليد العليا هي المنطية ، واليد السفلى هي  
المنطاة » قال عطية : فكلمنا بلغتنا<sup>(٣٩)</sup> . أي في الانطاء بمعنى الاعطاء .

وإنما كان هذا خصوصية ، لأنه لا يتأتى لأحد إلا عن تعليم أو تلقين وأخذ  
من احياء العرب حتى يفلي لغاتهم ، ومعلوم قطعاً ان الرسول لم يفعل ذلك ،  
ولا توفر له اطلاقاً ، بل أن العرب كانوا لا يستطيعون التحول عن لهجة  
قبيلتهم ، ولحن لغتهم ، كما أوضح في حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف ،  
فليس ثمة إلا أن تكون هذه خصوصية توقيعاً وإلهاماً من الله تعالى ، كما قال  
له : ( وعلمك ما لم تكن تعلم ) .

ويشهد لهذا قول الإمام الشافعي وهو إمام في اللغة علماً وسليقة حتى إنه  
يُجْتَحُّ به في اللغة : ( لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولا  
نعلم أنه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ) .

٢ - الموضوعية في صياغة الكلام وتوجيهه ، وتجريده عن الأشخاص :  
تلعب المناسبة التي هي سبب اطلاق العنان للبلاغة أثراً كبيراً في القول ،  
ونجدها ظاهرة في كلام الفصحاء واضحة المعالم ، لا يستطيع أن ينفك عن  
التأثر بها والتقييد بقيدها ، ولا أن يخرج عن أسرها .

أما الأحاديث فمع أنها في الأعم الأغلب جاءت عفوية كما ذكرنا لسبب  
سؤال أو حادثة أو نحو ذلك فانك تجدها متحررة من أسر العامل الشخصي  
في المناسبة ، بل من عوامل البيئة كلها ، والإنسان ابن بيئته لا يستطيع أن  
ينفك عنها .

وتجد الانطلاق من أسر المناسبة إلى الموضوعية المجردة والمتحررة عن قيد الزمان والمكان عاماً في الأحاديث النبوية ، حتى في الأمور المهمة ، التي يعز على البيان هذا التجرد في الموضوعية فيها .

فهذه الهجرة ، التي اعتبرها الصحابة والمسلمون أعظم أحداث السيرة وتاريخ الإسلام قد دخل موكبها إنسان لقصد شخصي هو الزواج ، فإذا كان المنطق النبوي ، لقد جاء الحديث في هذا الصدد بعيداً عن هذا الشخص ، وهو الحديث المشهور « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » . متفق عليه<sup>(٤٠)</sup> .

وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر أن النبي ﷺ سمع عمر وهو يحلف بأبيه ، فقال : « ان الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم ، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت »<sup>(٤١)</sup> .

فلم يخاطب عمر بن الخطاب وحده بهذا النهي والانكار ، بل قال (ينهاكم) خطاباً للجميع أي أيتها الأمة ، وهذا لأن المقصود هو الابلاغ ، كما قدمنا ، فضلاً عما ينبيء عنه هذا الأسلوب من خلقه العظيم الكريم الذي هو قدوة للمعلمين المربين ، ينبغي أن يقتدوا به ويأتسوا بطريقته .

على أنه قد يرد الحديث خطاباً موجهاً لشخص بعينه في مسألة ما تخصه ، وذلك لغرض تربوي لا يتم على الكمال إلا بمخاطبة الشخص بنفسه ، وهذا يعتبر من الابلاغ الذي تكلمنا عنه ، ومن ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان عبد الله قد شدد على نفسه في العبادة ، فنهاه النبي ووجهه : قال عبد الله : قال لي رسول الله ﷺ : « ألم أُخبر أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ، فان لجسدك عليك حقاً ، وان لعينك عليك حقاً ، وان لزوجك عليك حقاً ، وان لزورك عليك حقاً »<sup>(٤٢)</sup> .

### ٣ - وضعه مفردات وتراكيب جديدة :

فقد وقع في المحاورات النبوية والمحاضرات والخطب عبارات احتلّ بها مرتبة لا يقاس بها غيره ، وجاز فيها سبقاً لا يقدر قدره ، « مما لم يسبقه إليه عربي ، ولم يشاركه فيه عجي . ولم يُدع لأحد ، ولا ادعاه . ما صار مستعملاً ، ومثلاً سائراً »<sup>(٤٣)</sup> .

والأمثلة في ذلك كثيرة نكتفي بنبذة يسيرة طلباً للاختصار ، من ذلك :

- ١ - « لا يُلدغ المؤمن من جُحرٍ واحدٍ مرتين »<sup>(٤٤)</sup> .
- ٢ - « الآن حمي الوطيس »<sup>(٤٥)</sup> .
- ٣ - « بُعثت في نفس الساعة »<sup>(٤٦)</sup> .
- ٤ - « رُويدك سَوِّك بالقوارير »<sup>(٤٧)</sup> .
- ٥ - « لا تكونوا إمعة ، تقولون : ان أحسن الناس أحسنا ، وان ظلموا ظلمنا ، ولكن وُطئوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا فلا تظلموا »<sup>(٤٨)</sup> .
- ٦ - « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »<sup>(٤٩)</sup> .
- ٧ - اجتماع المقاصد الأدبية من حيث الصناعة اللغوية ، والصناعة البيانية ، والحكمة وتكاملها في الحديث النبوي :

ان التفوق في كل واحدة من هذه لا يكون إلا للقلائل ، فإذا اجتمعت في كلام وتوافقت وتكاملت رأيت من نتيجة ذلك كما يقول الرافعي<sup>(٥٠)</sup> :  
« نسقا في البلاغة فلما يتهياً مثول أغراضه ، وتساقق معانيه لبلوغ من البلغاء ، إذ يجمع الخالص من سر اللغة ، ومن البيان ، ومن الحكمة بعضها إلى بعض .

أما اللغة : فهو لغة الواضع بالفطرة القوية المستحكمة ، والمتصرف معها بالاحاطة والاستيعاب ، وأما البيان : فبيان أفصح الناس نشأة ، وأقواهم

مذهباً ، وأبلغهم من الذكاء والالهام ، وأما الحكمة : فتلك حكمة النبوة ،  
وتبصير الوحي ، وتأديب الله ، وأمر في الإنسان فوق الانسانية .

وما قط عرفنا بليغاً سلمت له جهات الصنعة في كلامه - من اللغة والبيان  
والحكمة - على أتمها ، بحيث لم يزغ عن قصد الطريقة ، ولا تحيفته احدى  
هذه الثلاث ، بادخال الضيم على أختيها في كلامه ، واستبانة أثرها فيه ،  
وغلبتها عليه .

وقد أطال الرفاعي في هذه الناحية ، والاشادة ، بهما مما يوقع في روع  
القارئ أنها منشأ خصائص البلاغة النبوية ، لكننا نرى المقصد الذي مهدنا  
به من الابلاغ والهداية العامة الشاملة هي الأصل الذي سبكت البلاغة النبوية  
في قوالها لتحقيقها ، وإنما اجتماع جهات الصنعة خصوصية من خصوصيات  
البلاغة النبوية ، وان كانت ستقضي بالبحث إلى نتائج ، فستقضي بنا إلى  
الابداع في وضع المفردات واستعمال التراكيب الجديدة ، وإلى جوامع الكلم  
التي حان الوقت للبحث فيها .

#### ٥ - جوامع الكلم :

وهي خصوصية مشهورة جداً ، تحدثت الأحاديث عن اعطاء الله إياها لنيته  
في أحاديث كثيرة مستفيضة .

ومعنى جوامع الكلم : هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثرت  
معانيه ، وجل من الصنعة ، ونزه عن التكلف ، كما قال الجاحظ<sup>(٥١)</sup> .

والايجاز أبرز سمات البلاغة العربية ، حتى عرف بعض كبار العلماء  
البلاغة فقال : البلاغة الايجاز .

وكان الايجاز والاقلال من الكلام هو الطابع العام للحديث النبوي ، كما  
سبق أنه يحدث لوعده العاد لأحصاه ، ولكن ذلك إنما كان عن كراهية

للتكلف . يشهد لذلك قول الجاحظ :  
« والذي تجود به القريحة وتعطيه النفس سهواً رهواً مع قلة لفظه وعدد هجائه  
أحمد أمراً ، وأحسن موقِعاً من القلوب ، وأنفع للمستمعين من كثير خرج  
بالكد والعلاج . . . »

والدليل الواضح والشاهد القاطع قول النبي ﷺ : « نصرت بالرعب ،  
وأعطيت جوامع الكلم »<sup>(٥٢)</sup> وهي الألفاظ القليلة المحتوية على المعاني الكثيرة .

وقد وردت الأحاديث في كراهة الاكثار من الكلام ، وذم المبالغة والتكلف  
فيه ، ومن ذلك : « ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة :  
أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، ألا أخبركم  
بأبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون ، والمتفيهقون »<sup>(٥٣)</sup> .

وكان من سنته ﷺ في الجمعة قصر الخطبة وإطالة الصلاة . لكن ليس  
معنى هذا إنه لم يطل الخطبة أبداً ، أو الخطاب ، كلا بل اننا نجد له الخطب  
الطوال في المناسبات المقتضية للطول ، كالمواسم ، مثل موسم الحج وخطبته  
المعروفة .

وقال أبو سعيد الخدري : « صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر  
بنهار ، ثم قام خطيباً ، فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به ،  
حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، وكان فيما قال : ان الدنيا خضرة حلوة ،  
وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ؟ ألا فاتقوا الدنيا واتقوا  
النساء . . . وذكر أبو سعيد حديثاً طويلاً ، ثم قال : وجعلنا نلتفت إلى  
الشمس هل بقي من النهار شيء ؟ فقال رسول الله ﷺ : ألا إنه لم يبق من  
الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه »<sup>(٥٤)</sup> .

فهذه خطبة طويلة استمرت من بعد صلاة العصر إلى قبيل غروب  
الشمس ، لكنها ليست من باب الأطناب ، والتشدد والتكلف ، بل نجد

بالتأمل في الفقرات التي ذكروها منها أنها تسير على النَّفسِ المعهود في الایجاز للحديث النبوي ، لكن المقام استدعى طول الكلام لكثرة المعاني ، وتفنن وجوه الأمر الذي يريد الحديث عنه ، فكثر اللفظ والكلام فيها ، لكن حذف الفضول منه غاية الحذف .

ونسرد فيما يلي جملة من أمثلة هذا الفن ، وتلكم الخصوصية من انتقاء إمام من أئمة البلغاء هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني في كتابه زهر الآداب ، مع ديباجته القيمة التي مهد لتلك الاختيارات . لكن نقتصر من اختياراته من جوامع الكلم على ما اشتهرت صحته زَوْماً لانشرح القارىء واطمئنانه ، وتحصيئاً من الشك والوسواس بأن ، توهم أنا نتحلل أو نتكلف -حاشا لله- .

قال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصر القيرواني<sup>(٥٥)</sup> :  
« رجعت إلى ما قطعْتُ مما هو أحق وأولى ، وأجل وأعلى ، وهو كلام رسول الله ﷺ : الكريم البحر ، الذي هو النهاية في البيان ، والغاية في البرهان ، المشتمل على جوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، وقد قال رسول الله ﷺ : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، واسترَضِعْتُ في سعد بن بكر<sup>(٥٦)</sup> ، وليس بعض كلامه بأولى من بعض بالاختيار ، ولا أحق بالتقديم والايثار ، ولكني أورد ما تسير منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً ، وتيمناً بذلك واستنجاها .

وهذه شذور من قوله ﷺ الصريح الفصيح ، العزيز الوجيز ، المتضمن بقليل من المباني كثير المعاني :

قوله عليه الصلاة والسلام : (المسلمون تتكافأ دماءهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يدُّ على مَنْ سواهم<sup>(٥٧)</sup> .  
(مطل الغني ظلم)<sup>(٥٨)</sup> .



- (يد الله مع الجماعة) (٥٩) .
- (الحياء شعبة من الإيمان) (٦٠) .
- (وما قل وكفى خير مما كثر وألهى) (٦١) .
- (كل مُيسر لما خُلِقَ له) (٦٢) .
- (دَع ما يَرِيْبُكَ إلى ما يَرِيْبُكَ) (٦٣) .
- (الناس كإبل مائة لا تحم فيها راحلة) (٦٤) .
- (الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) (٦٥) .
- (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (٦٦) .
- (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) (٦٧) .
- (التشعُّع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبي زور) (٦٨) .
- (المرأة كالضلع ، إن رمت قوامها كسرتها ، وإن داريتها استمتعت بها) (٦٩) .
- (اليد العليا خير من اليد السفلى) (٧٠) .
- (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) (٧١) .
- (الندم توبة) (٧٢) .

ومن روائع هذا الفن الأحاديث التي قيل أنها تجمع أمور الإسلام ، وعليها قام أساس الجمع للأربعين حديثاً التي استتمها الإمام النووي ، وعرفت بالأربعين حديثاً النووية ، وثمة مجموعات أخرى كثيرة أربعينات وغيرها ، لكن اشتهرت الأربعين النووية أكثر من غيرها وكثرت شروحيها حتى لا تحصى .

ومن أروعها الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، وقيل في كل واحد منها إنه نصف الإسلام أو ثلث الإسلام ، وهي هذه الأحاديث الثلاثة :

١ - حديث عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) (٧٣) .

قال الشافعي فيما روى عنه : انه يدخل فيه نصف العلم .  
وقال المحدث الحافظ حمزة والكناني : سمعت أهل العلم يقولون : هذا  
الحديث ثلث الإسلام والثلث الثاني :

ما رواه النعمان بن بشير ان رسول الله ﷺ قال : ان الحلال بين وان الحرام  
بين . وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات  
استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى  
حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل حمى ، ألا وإن حمى الله  
محارمه<sup>(٧٤)</sup> .

قال : والثلث الثالث :

ما رواه مالك عن ابن شهاب عن علي بن حسين ان رسول الله ﷺ قال :  
( من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه )<sup>(٧٥)</sup> .

ونكتفي بهذا القدر الموجز المختصر في هذا الفن الجليل ، ونختتم بهذه  
الكلمة القيمة للعلامة الرافعي التي تزيد جلاء منزلة جوامع الكلم في أدبنا  
العربي ، بل الأدب العالمي :

قال الرافعي : « وهذا الضرب من الكلام الجامع هو الذي يمتاز بالبليغ  
في كل أمة بالكلمة الواحدة من مثله ، أو الكلمتين ، أو الكلمات القليلة ،  
ولو ذهبت تحصيله في العربية ما رأيته إلا معدوداً ، على حين أن خطباءها  
وشعراءها وكتابتها وأدبائها لا يأخذهم العد » على حين أن هذا الكلام الجامع  
هو الذي لا يأخذه العد في بلاغة الرسول الكريم وفرق هنا -لابد من ذكره-  
نميز به بين النبي ﷺ وسائر فصحاء العرب وبلغائهم ، ممن أصابوا حظاً من  
مثل هذه الكلمات ، أو عرفوا بالبيان والتقدم في هذه اللغة الشاعرة . فان  
هؤلاء وان هذبوا الكلام وحذقوه ، وبالغوا في أحكامه وتجويده -كما يقول  
الرافعي « إلا أن ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم ، وروية مقصودة . . » .

بيد أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب ، على أنه لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه . . . ، ولا تستنزله الفجأة وما يبده من أغراض الكلام<sup>(٧٦)</sup> عن الأسلوب الرائع ، وعن النمط الغريب والطريقة المحكمة ، بحيث لا يجد النظر إلى كلامه طريقاً يتصفح منه صاعداً أو منحدراً .

« ثم انت لا تعرف إلا المعاني التي هي الهام النبوة ، ونتاج الحكمة ، وغاية العقل وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد »<sup>(٧٧)</sup> .

وما أحسن قول العقاد<sup>(٧٨)</sup> : « إلا أن البلاغ أقوى البلاغ في كلام النبي هو اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار ، بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات ، وقد يبسطها الشارحون في مجلدات » .

ومن أمثلة ذلك في العلم بالتبعات ، قوله عليه السلام : « أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل »<sup>(٧٩)</sup> .

فلمزايا الإنسانية واجبات وأعباء ، وليست بالمتع والأزياء ، وعلم الإنسان بالخير والشر يفرض عليه الفرائض التي يبتلى بها ، ولا يهنته بالراحة التي يصبو إليها ، وهو محسوب عليه . وكذلك ذكاؤه محسوب عليه . وأمثال هذه الأحاديث في أصول السياسة والأخلاق والاجتماع مما لا يتناوله الاحصاء في هذا المقام .

كان محمد فصيح اللغة ، فصيح اللسان ، فصيح الاداء . وكان بليغاً مبلغاً ، على أساس ما تكون بلاغة الكرامة والكفاية ، وكان بلسانه وفؤاده من المرسلين ، بل قدوة المرسلين .

## ٦ - عصرية أسلوب الحديث لكافة الأزمان :

كم من الأدباء الكبار من احتل في عصره القمة ، وصارت إليه عمادة

الأدب والقدوة ، لكنه عفى على أدبه الزمن لتغير الذوق أو الاعتبارات أو غير ذلك من عوامل ، لكن بلاغة الرسول المبلغ مدى الزمن والعصور ، قد تجاوزت حدود الزمان والعصر ، لأنه جاء بهداية عامة لكل الناس في كل زمان ومكان .

وفي هذا يقول الرافعي<sup>(٨١)</sup> : « ولذا ترى كلامه ﷺ يخرج من حدود الزمان ، فكل عصر واجد فيه ما يقال له ، وهو بذلك نبوة لا تنقضي ، وهو حي بالحياة ذاتها ، وكأنها هو لون على وجه منها ، كما ترى البياض مثلاً هو اللون على وجه طائفة من الجنس البشري » .

ويقول العقاد<sup>(٨١)</sup> : « ولئن شاء أن يحسب أسلوب النبي -كتابة وخطابا- أسلوباً عصرياً يقتدى به المعاصرون في زماننا هذا وفي كل زمان . لأن الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة ، هو أسلوب عصري في جميع العصور » .

ونكتفي بهذا القدر في بيان معالم البلاغة النبوية وخصائها ، وإن كان لا يفي جزءاً من حقها ، فلا ضمير أن نصف النجم في سراه ، وإن لم نستقر في ذراه ، وما شهدنا إلا بما علمنا ، وإن قصر القلم بنا عما أردنا ، ونقول ما قال الجاحظ<sup>(٨٢)</sup> : (ولعل بعض من لم يتسع في العلم ، ولم يعرف مقادير الكلام ، يظن أنا تكلفنا من الامتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ، ولا يبلغه قدره ، كلا والذي حرمّ التزيد على العلماء ، وقبح التكلف عند الحكماء ، وهرج<sup>(٨٣)</sup> الكذابين عند الفقهاء ، ما يظن هذا إلا من ضل سعيه) .

وختاماً لهذا البحث فإن القول ما قاله السبط الشهيد الحسين رضي الله عنه وأرضاه :

« لن يؤدي القائل -وإن أظن- في صفة الرسول ﷺ من جميع جزءاً » .

## الهوامش

- (١) هو يونس بن حبيب الضبي ، ولاء . كانت حلقة بالبصرة ينتابها طلاب العلم ، وأهل الأدب ، وكانت مجمع فصحاء الاعراب ووفود البادية . انظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ج ٢٠ ص ٦٤ . والاعلام للزركلي ج ٩ ص ٣٤٤ .
- (٢) أورد هذه الكلمة عنه الجاحظ في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٩ ، قال : وقال محمد بن سلام قال يونس بن حبيب... فذكر سنده بها وهو سند صحيح .
- (٣) في ديباجة كتابه « الفائق في غريب الحديث » . وهو مصنف في شرح مفردات الأحاديث على ترتيب المعجم .
- (٤) متفق عليه بلفظ : « وأعطيت ... » ، كما سيأتي .
- (٥) أخرجه الطبراني بلفظ : « أنا أعرب العرب ، ولدتي قريش ... » الجامع الصغير بشرحه ج ٣ ص ٣٨ .
- قوله : نكص : تأخر وغلب ، متفكك الرجل : كناية عن الإخفاق ، المصقع .  
 بوزن المنبر : البليغ والذي لا يرتج في كلامه . يناهزه : يدانيه .  
 السُّجُل : بفتح السين وسكون الجيم : الدلو ، والعبارة كناية عن الإخفاق أيضاً . البرْدُون : يطلق على نوع غير عربي من الخيل والبغال ، ضخم غليظ الأعضاء ، المَطْهُم : التام المناهي الحسن .  
 الوضح : الضوء وبياض الصبح ، نقبة الادهم : آفته من داء أو جرب والادهم الأسود من الإبل والخيل .
- (٦) في كتاب الشفاء : ص ١٧٥ - ١٧٧ بشرحه للعلامة المحدث على القاري .
- (٧) المنزع : منتهى الأمر ، من نزع في القوس إذا مدها إلى غايتها . المقاطع من القرآن ، مواضع الوقوف . نصاعة اللفظ : الناصع الخالص من كل شيء ، جزالة القول : الجزل من الكلام القوي ، وهو يقابل الرقيق . سبر الكلام : التعمق في فهمه ، وأصل السبر اختبار غور الجرح .
- (٨) البخاري في أول الإيذان ج ١ ص ٧ ومسلم في الإيذان (بيان أركان الإسلام) رقم ٢١ .
- (٩) في كتابه عبقرية محمد ص ٨٢ .
- (١٠) أخرجه أبو داود عن ابن مسعود في الأدب (ما جاء في التشديق) رقم ٥٠٠٥ والترمذي في الأدب (في الفصاحة والبيان) وعن عبد الله بن عمرو في الموضع نفسه رقم ٢٨٥٧ . وهو حديث صحيح .
- (١١) المتفق عليه : البخاري في الديات ج ٩ ص ١١ ومسلم في القسامة ج ٣ ص ١٣٠٩ .
- (١٢) البيان والتبيين ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .
- (١٣) أخرجه الترمذي في الدعوات (باب ٦٩) ج ٥ ص ٥١٩ والنسائي في الاستفادة ج ٨ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ وصححه الترمذي .
- (١٤) أخرجه البخاري في الأنبياء (واتخذ الله إبراهيم خليلاً...) ج ٤ ص ١٤٧ والترمذي في الطب بلفظ «أعيذُ لِمَا...» (باب ١٨) رقم ٢٠٦١ وأبو داود في السنة (باب في القرآن) رقم ٤٧٣٧ .
- (١٥) متفق عليه : البخاري في البيوع (إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل) ج ٣ ص ٧٣ ومسلم بلفظه في العتق ص ١١٤٢ .

- (١٦) متفق عليه : البخاري في الأدب (عقوق الوالدين) ج ٨ ص ٤ ومسلم في الأفضية (النهي عن كثرة المسائل ...) ص ١٣٤١ .
- (١٧) عبقرية محمد ص ٨٤ .
- (١٨) البخاري في الأدب ( من أحق الناس بحسن الصحبة ) ج ٨ ص ٢ ومسلم في البر والصلة (بر الوالدين) ص ١٩٧٤ .
- (١٩) انظر نص الخطبة مطولاً في صحيح مسلم (باب صفة حج النبي ﷺ) ومفرقا على أبواب في البخاري وغيره .
- (٢٠) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير مادة ( ذلك ) .
- (٢١) البخاري في الأذان (وجوب الجماعة) ج ١ ص ١٢٧ ومسلم في المساجد (فضل صلاة الجماعة) ص ٤٤٩ .
- (٢٢) متفق عليه : البخاري في الحدود (باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع ..) ج ٨ ص ١٦٠ ومسلم في الحدود أيضاً رقم ١٦٨٨ .
- (٢٣) المسند ج ٤ ص ٢٣٠ ومسلم بلفظه في صفة الجنة (فناء الدنيا ..) ص ٢١٩٣ والترمذي في الزهد رقم ٢٣٢٢ وابن ماجه في الزهد رقم ٤١٠٨ .
- (٢٤) ارشاد الساري شرح صحيح البخاري ص ١٣٩ - ١٤٠ . ج ١٠ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ . والحديث متفق عليه وهذا اللفظ للبخاري في آخر كتاب ترك الحيل .
- (٢٥) في فصل البلاغة النبوية من كتابه اعجاز القرآن ص ٣٥٩ .
- (٢٦) عبقرية محمد ص ٨٢ - ٨٣ .
- (٢٧) اعجاز القرآن ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .
- (٢٨) ج ٢ ص ١٧ - ١٨ .
- (٢٩) من الآية ٨٦ من سورة ص ، ونص الآية « قل ما سألتكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين » .
- (٣٠) التعجير : وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه .
- (٣١) الفلج : بالفتح وبالتحريك أيضاً الظفر والغلب ، والفوز بالطلب .
- (٣٢) الخلافة : المخادعة .
- (٣٣) الهمز : التعيب في الغيبة ، واللمز التعيب في الحضرة .
- (٣٤) حصر من باب تعب : عي في كلامه .
- (٣٥) اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص ٣٦٢ و ٣١٢ - ٣١٣ .
- (٣٦) أخرجه أبو يعلى والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر وأخرجه الدارقطني عن ابن عباس . فيض القدير ج ١ ص ٥٦٣ . وأصله في الصحيحين كما أشرنا فيما سبق . وسيأتي .
- (٣٧) أي ملوك أو أمراء .
- (٣٨) الفراع : ما ارتفع من الأرض ، والعزاز : ما خشن وصلب من الأرض ، عفاءها : هو الذي ليس لأحد فيه ملك ولا أثر . دفئهم : المراد هنا الأنعام ، سميت دفئاً لأنها يتخذ من أوبارها وأصوافها وأشعارها ما يستدفأ به من الملابس وغيرها ، الصرام ، النخيل أو الثمار ، لأنها تصرم ، أي تقطع . الثلب : الهرم من ذكور الإبل ، الناب : الهرمة من إناث الإبل ، الغارص : المسن

- من الإبل والبقر، الداجن : الذي ألف البيوت ، الحورى كيش جلده أحمر . والمعنى أن هذه لا تؤخذ منهم في الزكاة إما لنفاستها كالحورى أو خساستها كالحرم .
- والصالح : ما دخل السنة السادسة من البقر والغنم .
- والقارح : ما دخل في السنة الخامسة من الخيل .
- (٣٩) أخرجه الحاكم والبيهقي وصححه . وهو في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام بلغة قريش : البخاري في الزكاة (لا صدقة إلا عن ظهر غنى) ج ٢ ص ١٢ ومسلم في الزكاة (بيان أن اليد العليا خير .) رقم ١٠٣٥ .
- (٤٠) البخاري في أول صحيحه ومسلم في الإمارة رقم ١٩٠٧ .
- (٤١) البخاري أول الإيذان ج ٨ ص ١٣٢ ومسلم في الإيذان (النهي عن الحلف بغير الله) رقم ١٦٤٦ .
- (٤٢) متفق عليه : البخاري في الصوم (حق الجسم والصوم) وما بعد ج ٣ ص ٤٩ - ٥٠ ومسلم (النهي عن صوم الدهر) رقم ١١٥٩ .
- (٤٣) التمهيد والأمثلة من الشفا للقاضي عياض ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٥ والبيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٦ - ١٧ .
- (٤٤) متفق عليه : البخاري في الأدب ج ٨ ص ٣٨ ومسلم في الزهد (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد .) رقم ٢٩٩٨ . والحديث مشهور بدون لفظ «واحد» . لكنه في المصادر كما أثبتناه . وهو جزء من حديث طويل .
- (٤٥) أخرجه مسلم في الجهاد في ضمن حديث طويل في قصة الهجوم في حنين رقم ١٧٧٥ وأحمد كذلك ج ١ ص ٢٠٧ كلاهما بلفظ «هذا حين همى الوطيس» .
- (٤٦) أخرجه الترمذي في الفتن (باب قول النبي ﷺ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ .) رقم ٢٢١٤ . وله شاهد في الصحيحين .
- (٤٧) متفق عليه : البخاري في الأدب (ما يجوز من الشعر .) بلفظ : «رويدك يا أنجشة» . ج ٨ ص ٣٥-٣٦ ومسلم في الفضائل . «رحمة النبي ﷺ للنساء .) وفيه : «رُوِّدًا سَوْكًا» . رقم ٢٣٢٣ .
- وَأَنْجَشَةُ : الرجل الذي كان يحدو الإبل ، فأسرعت كثيراً .
- (٤٨) أخرجه الترمذي في البر والصلة (الاحسان والعتق) رقم ٢٠٠٧ وحسنه .
- (٤٩) متفق عليه : البخاري في الأدب (الحذر من الغضب) ج ٨ ص ٢٨ ومسلم في البر والصلة (فضل من يملك نفسه عند الغضب) رقم ٢٦٠٩ .
- (٥٠) اعجاز القرآن ص ٣٦٠ وما بعد .
- (٥١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧ .
- (٥٢) متفق عليه : البخاري في الجهاد ج ٤ ص ٥٤ ومسلم بلفظه في أول المساجد رقم ٥٢٣ .
- (٥٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ١٠ ص ١٩٤ والترمذي بنحوه في البر والصلة (معاني الأخلاق .) رقم ٢٠١٩ .
- (٥٤) أخرجه الترمذي في الفتن (ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه) رقم ٢١٩٢ وقال : «حسن صحيح» . وانظر أصله في مسلم رقم ٢٧٤٢ .

- (٥٥) زهر الآداب وثمر الألباب ج ١ ص ٢٣ .
- (٥٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ١ ص ١١٣ وابن إسحاق كما في البداية لابن كثير ج ٢ ص ٢٥٧ ، وانظر نحوه فيما سبق .
- (٥٧) أخرجه أبو داود في الجهاد (باب في السرية) رقم ٢٧٢١ والدييات ٤٥٣٠ والنسائي بلفظ «المؤمنون ..» في القسامة ج ٨ ص ٢٤ وابن ماجه ٢٦٨٢ و٢٦٨٤ .
- (٥٨) متفق عليه : البخاري في الاستعراض (مطل الغني ظلم) ج ٣ ص ١١٨ ومسلم في المساقاة «تحريم مطل الغني ..» رقم ١٥٦٤ .
- (٥٩) أخرجه الترمذي في الفتن (لزوم الجماعة) رقم ٢١٩٧ و٢١٩٨ والقضاعي . في مسند الشهاب رقم ٢٣٩ . وله شواهد كما في آخر فيض القدير .
- (٦٠) متفق عليه : البخاري في الإيمان (أمور الإيمان) ج ١ ص ٧ ومسلم (بيان عدد شعب الإيمان) رقم ٣٥ .
- (٦١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ج ٢ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ من المستدرک . وأخرجه أحمد والطبراني في الكبير وأبو يعلى جمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٥٥ وسند أبي يعلى رقم ٤٧٨٨ .
- (٦٢) متفق عليه : البخاري في التوحيد (ولقد يسرنا .) ج ٩ ص ١٥٩ ومسلم في القدر رقم ٢٦٤٩ .
- (٦٣) أخرجه النسائي في الأشربة (الحث على ترك الشبهات) ج ٨ ص ٣٢٧ والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ١٣ وصححه ووافقه الذهبي .
- (٦٤) متفق عليه : البخاري في الرقاق (رفع الأمانة) ج ٨ ص ١٠٤ ومسلم آخر فضائل الصحابة رقم ٢٥٤٧ كلاهما بنحوه ، ومن لفظه « .. لا تكاد وتجد .. » .
- (٦٥) متفق عليه : البخاري في الأنبياء (يا أيها الناس إنا خلقناكم) ج ٤ ص ١٧٨ ومسلم بنحوه في فضائل الصحابة (خيار الناس) رقم ٢٦٣٨ .
- (٦٦) متفق عليه في ضمن حديث : البخاري وفي آخره « وشبك أصابعه » في المساجد (تشبك الأصابع ..) ج ١ ص ٩٩ ومسلم في البر والصلة (تراحم المؤمنین) رقم ١٥٨٥ .
- (٦٧) رواه البيهقي وأسنده الديلمي ، ورواه الدارمي وابن عدي . كشف الخفاء ج ١ ص ١٤٧ . واتحاف السادة المتقين ج ٢ ص ٢٢٣ . والمراد علماءهم والله أعلم .
- (٦٨) متفق عليه في ضمن حديث : البخاري في النكاح (المتشعب بما لم ينل) ج ٧ ص ٣٥ ومسلم في اللباس والزينة (النهي عن التزوير .) رقم ٢١٢٩ و٢١٣٠ ، ولايس ثوبي زور : الذي يلبس كُما تحت كُمة ثوبه يوهم أنه لابس ثوبيك ، وهو واحد ، أو نحو ذلك .
- (٦٩) كذا أورده وهو متفق عليه بنحوه البخاري في النكاح (اعداء مع النساء) ٧٢٠ ص ٢٦ ومسلم في الرضاع (الوصية بالنساء) رقم ٤٦٨ .
- (٧٠) متفق عليه : البخاري في الزكاة (لا صدقة إلا من ظهر غنى) ج ٢ ص ١١٥ ومسلم منها رقم ١٠٣٥ .
- (٧١) متفق عليه : البخاري في المظالم (أعن أخاك ..) ج ٣ ص ١٢٨ ومسلم في الإكراه (يمين الرجل ..) رقم ٦٩٥٢ .



- (٧٢) أخرجه ابن ماجه في الزهد (ذكر التوبة) رقم ٤٢٥٢ والحاكم في المستدرک ج ٤ ص ٢٤٣ وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان ، ج ٢ ص ٦ من كتاب الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان .
- (٧٣) متفق عليه . كما سبق .
- (٧٤) متفق عليه : البخاري في الإیمان ج ١ ص ١٦ ومسلم رقم ١٥٩٩ .
- (٧٥) كذا أخرجه من طريق مالك ص ٦٥٠ وقد أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ رقم ٢٣١٩ وعن أبي هريرة ٢٣١٨ .
- وأخرجه ابن ماجه في الفتن (كف اللسان في الفتنة) رقم ٣٩٧٦ . ورواه أحمد والطبراني في الثلاثة ورجال أحمد والكبير ثقات . مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٨ .
- (٧٦) أي ما يقتضيه المقام من القول بالبداهة ، وما تستلزمه المفاجآت الكثيرة من أغراض الكلام التي تحتاج إلى تحضير الكلام واعداده سابقاً .
- (٧٧) انظر فصل البلاغة النبوية ص ٣١٣ - ٣١٤ .
- (٧٨) في عبقرية محمد ص ٨٨ - ٨٩ بتصرف يسير جداً .
- (٧٩) أخرجه ابن ماجه في الفتن (الصبر على البلاء) رقم ٤٠٢٤ والترمذي في الزهد (الصبر على البلاء) فيه ضمن حديث رقم ٢٤٠٠ وصححه .
- (٨٠) وحي القلم ج ٣ ص ١٧ .
- (٨١) عبقرية محمد ص ٨٦ - ٨٧ .
- (٨٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٩ .
- (٨٣) بهرج : أي زيف وأسقط .

## ثبت المصادر<sup>(١)</sup>

- إنحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمحمد الزبيدي . تصوير بيروت .
- الاحسان بترتيب صحيح ابن حيان ، للأمير الفارسي . ط دار الكتب العلمية . بيروت .
- إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري ، للقسطاني ، طبع بولاق . السادسة .
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي . مطبعة الاستقامة . السادسة .
- الأعلام ، لخير الدين الزركلي . ط . دار العلم للملايين . بيروت .
- البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق حسن السندوبي . ط : مصر .
- الجامع الصحيح ، للبخاري ، ط . بولاق الثالثة . سنة ١٣١٣ هـ .
- الجامع ( السنن ) للترمذي . طبع مصطفى الباي الحلبي .
- زهر الآداب وثمر الألباب ، للمصري القيرواني . ط . مصر .
- السنن ، لأبي داود السجستاني . ط . التجارية . الأولى .
- السنن لابن ماجة القزويني . ط . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة .
- الشافعي التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى ، مع شرحه للقارئ . ط . استانبول .
- صحيح مسلم بن الحجاج . تحقق محمد فؤاد عبد الباقي . ط . مصر .
- عبقرية محمد ، لعباس محمود العقاد ، ط . دار المعارف . مصر .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمنادي تصوير بيروت .
- الفائق في غريب الحديث ، للزخشي . ط . مصر .

\* مع تفصيل بيان الطبعة عند الحاجة .

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ، ط. دار التراث . حلب .
- المجتبي (السنن الصغرى) للنسائي . تصوير بيروت .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، ط. القديسي ، مصر .
- المستدرک على الصحيحين ، للحاكم ، وبذيله تلخيص المستدرک للذهبي . ط. الهند .
- مسند الشهاب للقضاعي ، ط. مصر .
- المسند ، للإمام أحمد ؛ ط. مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
- المسند ، لأبي يعلى الموصلي ، ط. دار المأمون للتراث . دمشق .
- معجم الأدباء ، الياقوت الحموي ، ط. مصر .
- الموطأ ، للإمام مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. دار إحياء الكتب العربية .
- النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، ط. دار إحياء الكتب العربية .
- وحي القلم ، لمصطفى صادق الرافعي ، ط. مصر .